

عصمة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)

<"xml encoding="UTF-8?">



قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (1)

أساس الاختلاف بين الشيعة والسنة:

إنّ أساس الاختلاف بين الشيعة و السنة ينحصر في مسألة الولاية ، فالشيعة يقولون أنّ الامام يجب أن يكون معصوماً و مُنصباً من قبل الله سبحانه و تعالى ، بينما يقول السنة أنّ العصمة ليست من شرائط الإمام ، وأنّ الناس بإمكانهم أن يختاروا إماماً لهم فيتبّعوه.

أمّا بقيّة المسائل المُختلف عليها بين هذين الفريقين فمتفرّعة بأجمعها عن ذلك الأصل و تابعة له ؛ لأنّ أرضيّة الاختلاف في الأساس والأصل لابدّ و أن تؤدّي الى اختلافات كثيرة في الفروع ، أمّا لو انتفى الاختلاف في الأساس ، فاتّحد هذان الفريقان في المرام و المذهب ، فإنّ الاختلافات في الفروع ستنتفي بدورها و تتبع الأصل في الوحدة.

و سنناقش هذه الأيام بعون الله و بالاستعانة بأرواح الطيّبين و أولياء الله أساس هذه المسألة ، و سنبيّن شرائط الإمام من خلال كتاب الله والنصوص الصريحة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه و ءاله ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . و سنذكر شاهداً و مثلاً كمقدّمة من أجل توضيح هذا المعنى قبل الاستدلال بالآية التي وردت في مطلع البحث .

الإمام بمنزلة القلب في جسم الإنسان:

هناك في جسم الإنسان أجهزة متنوّعة و مختلفة يؤدّي كلّ منها وظيفةً خاصّة ، فالعين وظيفتها النظر ، و الأذن وظيفتها السّمع ، و الأنف للتنفّس و الشّم ، و اللسان للتذوّق و الكلام ، و اليد للأخذ و العطاء ، و الرجل للمشي ؛ و كلّ هذه الأعضاء تسعى دائبةً لتنفيذ وظيفتها ، ألاّ أنّها - من وجهة نظر الحياة الماديّة - تستمدّ قوّتها من القلب .

ثمّ إنّ القلب يضخّ الدم الى جميع أعضاء الجسم و جوارحه ، فيمدّها في كلّ لحظة بحياة جديدة ، و يبقيها - بهذا العمل - في نشاط مستمرّ و حياة دائمة . و لو حدث أن توقّف القلب للحظة واحدة و تخلّى عن مسؤوليّته ، لأصيبت تلك الأعضاء و الجوارح الحيّة و النشيطة بالموت و الفناء و لتعطّل دورها ، فتفقد العين رؤيتها ، و الأذن سمعها ، و اليد حركتها ، كما تُشلّ الرّجل و تفقد الإحساس .

و بناءً على هذا فإنّ فائدة القلب هي الإشراف و الزعامة و إيصال الحياة الى كافّة أعضاء الجسم التي تخضع لإشرافه ، و لا يمكن لأحد ان يُنكر حاجتنا للقلب بحجّة أنّ القلب لا يعمل شيئاً لأنّه لا يرى و لا يسمع و لا يتكلّم و لا يكتب و لا ... و لا

و بحجّة أنّ لنا عيناً نرى بها ، و أذناً نسمع بها ، و لساناً نتكلّم به ، و يداً نكتب بها . فهذا الكلام خاطئ و لا محلّ له ، لأن العين و الأذن و اللسان ميّنة بدون القلب لا دور لها و لا عمل ، و إنّما وجد ذلك الإبصار في العين ، و السمع في الأذن بسبب قوّة القلب .

إنّ العين تتعرّض في كلّ لحظة لألاف الأفات و حالات الفساد الخارجيّة ، و الأمر كذلك بالنسبة للأذن و لسائر الأعضاء الأخرى ، لكنّ القلب لا يفتّر لحظةً عن المراقبة و الدفاع و إيصال الدم كطعام و دواء من أجل دفع الاعتداءات الخارجيّة و موجبات الفساد الأخرى و الميكروبات المهلكة . لذا فإنّ العين و الأذن تعيشان تحت ولاية و سلطان القلب الذي يمثّل الجهاز المنظمّ لعمل تلك القوى ، و الذي يمدّ سائر أعضاء الجسم بالحياة .

أمّا من الناحية المعنوية ، فإنّ المخّ هو الذي ينظّم عمل هذه القوى والأعضاء ، فالعين ترى فقط ، أي أنّه اثر انعكاس النور فإنّ صورةً للشئ المرئي ستنعكس في شبكيّتها ، أمّا ماهيّة هذا الصورة و ما الذي سنفعله بها ؟ فإنّ ذلك ليس من وظيفة العين ، بل من وظيفة المخّ الذي يأخذ هذه الصورة و يدقّق فيها و يهيئها لإستفادة الانسان .

لذا فإنّ الذين يتعاطون الخمور فيثملون ، او الذين يُصيبهم الإغماء او الجنون ، لم يحصل في أعينهم نقصٌ ما ، بل أنّ عيونهم سليمة تعمل بوظيفتها جيّداً في عكس الأشعة و إظهار الصورة المرئيّة ، لكنّ جهاز المخّ و الفكر صارا لا يعملان بوظيفتهما المعتادة ، لأنّ مجموعة الأعصاب التي تنقل الصورة الى المخّ قد تعطلّت عن عملها بوظيفتها ، فصارت سلسلة الأعصاب توصل هذه الصورة الى المخّ فلا يستطيع تمييزها و الإفادة منها في محلّها .

لذا نشاهد أنّ الشخص الثمل لا يُميّز بين أخته و أمّه و زوجته ، فيحاول الإعتداء عليهنّ ، أو أنّه يتحرّك في معبرٍ عامّ عارياً ، فلا يمكنه ان يشخّص أنّ صورة المعبر التي كانت محفوظةً في قواه الذهنيّة سابقاً مُطابقةً لصورة هذا المعبر أم لا كي يحكم بعدم جواز الحركة في هذا المعبر عارياً .

و هذا الثمل السكران يهذي و يصيح بصوت عال ، و يعمل اعمالاً مُستهجنة أمام الآخرين ، و لا يأبى أكل الخبائث ، و لا يُبالي بارتكاب الجنايات ، بالرغم من أنّ قواه السمعيّة و الذوقيّة و الشميّة تعمل بوظيفتها . و ذلك لأنّ جهاز المخّ المنظّم و المراقب لا يعمل بوظيفته في هذه الحالة لأنّه قد تعطلّ . لذا فإنّه لن يعجز فقط عن الرؤية و تمييز الأشياء ، أو أن يسمع بأذنه و يعمل بيده ، بل أنّه سيصرف هذه القوى في إهلاك نفسه وإفسادها ، و سيقطع بيده أغصان حياته و يستئصل جذورها .

و بناءً على هذا فإنّ وجود جهاز المخّ في الجسم أمر حيويّ من أجل استخدام هذه الأعضاء و الجوارح و إعمال كلّ منها في مواقع الحاجة ، ولتطبيق الصور الحاصلة مع الصور المحفوظة سابقاً في الذاكرة و الأحكام الصحيحة المترتبة عليها ، و لذلك نرى أنّ المجنون الذي فقد قواه العقليّة لا يترتّب على رؤيته و قوله و فعله أيّ نتيجة صحيحة .

و لو تركنا الإنسان جانباً فاننا سنجد في الحيوان كذلك قلباً و مخّاً لا يستطيع أيّ حيوان بدونهما الاستمرار في الحياة و في أداء وظائفه و لو كان ذا خليّة واحدة .

و الأمر كذلك في الجمادات أيضاً ، فإنّ الشي الذي يرسم لها وحدتها و يجعلها تحت خاصيّة و كفيّة واحدة هو الروح و النفس الواحدة التي كانت جارية فيها قبلاً . و لذا فإنّها تمتلك خاصيّة واحدة و يُشاهد عنها آثار واحدة . و قد جرت الاستفادة من هذا الأمر في التقنية و صناعة السيارات ، فاستطاعوا - بإيجاد آلات منظّمة و معدّلة - تنظيم حركة العجلات والمحركات .

اننا حين نريد ملء الساعة و نصبها ، فإنّ ضغط النابض سيكون قوياً في البدء ، و سيحاول تحريك العجلات المسنّنة بسرعة ، أمّا حين يرتخي النابض و يقلّ ضغطه ، فإنّه سيحاول تحريك تلك العجلات ببطء . و لهذا السبب فقد وضعوا في الساعة جهازاً بإسم (البندول أو الرقّاص) ليقوم بتنظيم الحركة ، بحيث تتحرّك الساعة في كلّ الأحوال على منوال واحد ، سواءً كان ضغط النابض قوياً أو ضعيفاً ، فتتنظّم الوقت بشكل صحيح .

كما أنّ الماكينات البخارية المستعملة في المعامل الكبيرة اذا خلت من المنظّم فإنّها ستتخطّم بأجمعها ، لأنّ قدر البخار سيولّد عند غليانه كمّيّات ضخمة من البخار اذا ما اندفعت خلف المكابس فإنّ الألات ستدور آنذاك بسرعة هائلة فتؤدّي الى تحطّم الماكينة . أمّا حين تنخفض الحرارة في قدر البخار فإنّ من الممكن ان تنخفض السرعة تبعاً لذلك . و لذلك يوضع في هذه الألات منظّم للضغط»~ (pressure Regulator) ~» لينظّم وصول كمّيّات البخار الى المكابس ، و لا يسمح بوصول الفائض من البخار الى المحركات ، بل يقوم بخزنه في مخزن الذخيرة ليفيد منه عند انخفاض ضغط البخار ، فيرسله آنذاك مع البخار المولّد ، و بذلك تتحرّك المحركات بشكل منظّم و هادئ دائماً في السرعة الخاصة المطلوبة .

و يحتاج المجتمع البشري من أجل تغيير القوى و تنظيم الأمور ورفع الاختلافات بين الناس و منع التعديّات على

حقوق الفرد و المجتمع ، ولهداية جميع الأفراد الى مقصد الكمال و الهدف من الخلقة و نيل المُنَى من جميع القوى و الكنوز الالهية ، الى منظّم صحيح ، و إلّا لهلك المجتمع ولما استطاع أن يستفيد من كنوز الحياة .

ضرورة وجود الإمام المعصوم في المجتمع :

إنّ الإمام هو المنظّم لعالم الإنسانيّة و المجتمع ، لذا يتحمّ أن يكون ذا قوىّ متينة و أفكار صائبة و آراء قادرة ، ليكون مشرفاً على أعمال الأمة وأفعالها ، و ليسوسها بالتنظيم و العدل .

و تسأل هنا : أيستطيع الإمام - ترى - أن يُصلح المجتمع اذا كان نفسه يُخطىء و يُبتلى بالمعصية والإثم شأنه شأن أفراد المجتمع الآخرين ، أو إذا كان مثلهم مُصاباً بالهوس و الشهوة ؟

أو يمكنه انذاك أن يرفع الاختلاف فيما بينهم ، فيُعطي كلّ ذي حقّ حقه ، و يقف في وجه الإعتداءات ، و يمنح العيش لجميع أفراد المجتمع ، و يعلمهم المعارف و الحقائق حسب استعدادهم و حاجتهم ، و يُبين لهم موارد الخطأ و الزلل في سلوكهم الى الله و وصولهم الى مقصد الكمال ؟

كلّا و حاشا !

و على هذا فإنّ قائد المجتمع و زعيم الناس و إمامهم يجب أن يكون معصوماً عن الإثم و عارياً عن أي خطأ و زلل ، كما ينبغي أن يكون ناظراً الى الأحوال و الأفعال و الخواطر القلبية لكلّ واحد من أفراد الأمة بفكرٍ عميق متّسع ، و صدرٍ منشرح بنور الله ، و قلبٍ مُتّور بالتأييدات الغيبية .

على أنّ بعض العامّة يقول بعصمة الأنبياء ، و بعضهم يقول بمرتبة ضعيفة من عصمتهم ، بينما ينكر البعض الآخر العصمة فيهم ، فلا يعتبرهم مصونين بأيّ وجه عن الأخطاء و المعاصي . إلّا أنّ الشيعة عموماً يشترطون العصمة للأنبياء بجميع معانيها ، كما يقولون بالعصمة للأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

عصمة الأنبياء على ثلاث مراحل :

و سنتحدّث في اثباتنا لهذا الموضوع عن عصمة الأنبياء ، فنثبتها من القرآن الكريم ، ثم نتحدث عن الأئمة عليهم السلام .

أمّا بشأن الأنبياء فنقول : إنّ العصمة مورد البحث في ثلاثة موضوعات :

1 - في موضوع تَلْقَى الوحي ، اي أنّ قلب النبيّ يجب ان يكون منزهاً عن الخطأ عند نزول الوحي ، فيتلقّى ذلك الوحي كما نزل ، لا يزيد في التلقّي عليه و لا يُنقص ، و لا يجليّ في نفسه ذلك الوحي إلّا في حقيقته الواقعة .

2 - في موضوع تبليغ الوحي : اي انّ على النبيّ أن يبَلِّغ الوحي كما أخذه ، دون أن يُخطئ أو ينسى فيما أُوحي اليه ، و دون أن يزيد أو ينقص في أدائه للوحي شيئاً على صورته الحقيقيّة .

3 - المعصية و الذنب : فالنبيّ لا يرتكب أيّ عمل يُخالف مقام العبوديّة لله أو يتنافى مع الاحترام أو يهتك حرمة مقام المولى ، سواءً في أقواله أو في أفعاله . و إجمالاً فإنّ هذه المراحل الثلاث يمكن تلخيصها في جملة واحدة : أي وجود أمرٍ من جانب الله لدى الإنسان المعصوم يصونه عن الخطأ و المعصية .

أمّا الخطأ في غير هذه المواضع ، مثل الخطأ في الأمور الخارجيّة نظير الالتباسات التي تحصل في حواسّ الإنسان ، أو في إدراكات الأمور الاعتباريّة ، و نظير الخطأ في الأمور التكوينيّة من النفع و الضرر و الصلاح و الفساد ، فهي خارجةٌ بأجمعها عن محل النزاع و الكلام بين الشيعة و السنة .

أمّا تلك المراحل الثلاث من العصمة فتدلّ عليها الآيات القرآنية ، كقوله تعالى :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (2)

و تبين هذه الآية أنّ الغرض من إرسال الأنبياء و إنزال الوحي و الكتاب أنّما هو دعوة الناس الى الحقّ ، و هديهم الى طريق الحقّ والصواب في جميع موارد الاختلاف قولاً و فعلاً و اعتقاداً .

و هذا هو هدف الخلقة من بعث الأنبياء ؛ لأنّ الله تعالى لا يضلّ في هذا القصد بمفاد الآية :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى . (3)

و هو بالغ أمره و هدفه ، لا يصدّه عنه رادع و لا يمنعه مانع ، بمفاد الآية الشريفة :

إِنَّ اللَّهَ بَلَّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا . (4)

و مفاد الآية الكريمة :

وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ . (5)

و ينبغي - بناءً على هذا - لحفظ الوحي عند إنزاله و إبلاغه و أدائه أن يُصان الأنبياء من أي خطأ و زلل ، لأنّ قلب النبيّ اذا أخطأ عند تلقّي الوحي أو تبليغه ، فإنّ الهدف من رسالته سيكون غير متحقّق ، لأنّ المفهوم من الرسالة هو الدعوة الى الحقّ :

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ .

و سيتردّد الأمر في حالة الخطأ بين أن يكون الله تعالى قد أخطأ ونسي في انتخاب الرسول و طريقة إنزال الوحي على قلبه ، أو أن غرضه كان الدعوة الى الحقّ لكنّه أخطأ في طريقة انزال الوحي على قلب النبيّ على نحو لا يكون

معه عُرضة للتغيير و التبديل ؛ و هذا ليس صحيحاً بمقتضى قوله تعالى :

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى .

أو أنّ غرضه كان الدعوة الى الحقّ ، و لم يحصل في إجراء هذه الدعوة أي خطأ و التباس ، ولكن ظهرت عوائق خارجيّة حالت دون تحقيق أمر الله ، و هذا أيضاً مستحيل بمفاد الآية الكريمة :

إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ . و الآية :

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

و بناءً على هذه المقدمات ، فإنّ الله سبحانه و تعالى يحفظ الأنبياء حتماً من الخطأ و الالتباس في كَيْفِيَّةِ تَلْقَى الوحي و إبلاغه ، و يطهر قلوبهم و يُصَفِّيها بحيث ينعدم فيها اثر إنزال الوحي أيّ موج أو ارتعاش أو تزلزل يكون باعثاً على قلب و تغيير كَيْفِيَّةِ و واقعيّة الوحي ، و بحيث لا يبقى فيها أيّ أثر للإضطراب أو الإبهام الباعث على تأويل و تفسير الإدراكات الواقعيّة على غير حقيقتها و واقعيّتها . و هذا هو معنى حقيقة العصمة في مرحلتي تَلْقَى الوحي و إبلاغه .

و أمّا في المرحلة الثالثة و هي صونهم وعصمتهم عن المعاصي ، فمن الممكن - ببيان مقدّمة أخرى - أن نعتبر دلالة الآية السابقة عليها دلالة تامّة . و هي أنّه لو عصى نبيّ أو ارتكب إثماً فأنّه سيكون بفعله هذا قد أجاز هذا العمل و أباحه لأُمَّته ، لأنّ العاقل لا يفعل شيئاً إلّا اذا كان حسناً ؛ فاذا ارتكب المعصية في حالٍ يأمر فيها قولاً بخلافها ، فإنّ ذلك سيبيح على التهافت و التناقض ، و سيكون قد دعا بفعله و قوله الى أمرين متناقضين ، فهو يمنع الناس بقوله و كلامه من ذلك العمل ، ثم يُثبت بفعله له إباحة ذلك العمل و يرخص لأُمَّته فيه .

و من المعلوم أنّ الدعوة الى المتناقضين ليست دعوةً للحقّ ، لأنّ ذينك المتناقضين سيبتل أحدهما الآخر ؛ و الله سبحانه الذي يبعث الأنبياء للدعوة الى الحقّ لا يجعلهم دعاةً الى الأمور المتناقضة ، بل يصونهم عن فعل غير الحقّ و عن اي معصية ، لأنّ عصمة الأنبياء في إبلاغ الرسالات وأداء وحيهم كما ينبغي سوف لن تكون تامّة بدون العصمة عن مقام المعصية ؛ و قد اتّضح بهذا البيان أنّ الآية السابقة تدلّ على عصمة الأنبياء في ثلاث مراحل : التلقّي ، و ابلاغ الوحي ، و في مقام الخطأ و المعصية .

كما ان الإمام - و هو الحافظ للشرعية و المبيّن للأحكام و الحارس للقانون بالنسبة للأُمَّة - حائز على مقام قلب النبيّ و إدراكه ، و لا فرق بينه وبين النبيّ من وجهة النظر هذه ، إلّا أنّ النبيّ هو الذي يأتي بالشرعية والكتاب ، و الإمام هو الذي يقوم بإبلاغها و المحافظة عليها .

و الأدلّة التي تفيد في اثبات عصمة الأنبياء واردة بعينها في اثبات عصمة الإمام .

روى الحجّة الكليني في كتاب (الكافي) (6) ، عن عليّ بن ابراهيم ، عن والده ، عن حسن بن ابراهيم ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام جماعةٌ من أصحابه منهم حُمران بن أعين ومحمّد بن النّعمان و هشام بن سالم و الطّيار و جماعةٌ فيهم هشام بن الحَكَم (7) و هو شابّ ، فقال أبو عبد الله عليه

السَّلام : يا هشام ! ألا تخبرني كيف صنعتَ بعمر بن عبيدٍ ؟

فقال هشام : يا ابن رسول الله إني أُجَلِّك و أستحييك و لا يعمل لساني بين يديك . فقال أبو عبد الله : إذا أمرتكم بشي ء فافعلوا .

قال هشام : بلَغني ما كان فيه عمرو بن عبيدٍ و جلوسه في مسجد البصرة ، فَعَظَمَ ذلك عليّ ، فخرجتُ اليه و دخلتُ البصرةَ يومَ الجمعة فأتيتُ مسجدَ البصرة ، فاذا أنا بحَلَقَة كبيرة فيها عمرو بن عبيد و عليه شَمْلَةٌ سوداء مُتَزَرًّا بها من صوف ، و شملةٌ مُرتدياً بها ، و الناسُ يسألونه ، فاستفرجتُ الناسَ فأفرجوا لي ، ثمَّ قعدتُ في ءاخر القوم على ركبتيّ ثمَّ قلتُ : أيّها العالمُ ! إني رجلٌ غريبٌ تأذنُ لي في مسألة ! فقال لي : نعم !

فقلتُ : أَلَك عَيْنٌ ؟

فقال : يا بُنَيَّ أيّ شي ء هذا من السؤال ، و شي ء تراه كيف تسألُ عنه ؟

فقلتُ : هكذا مسألتني .

فقال : يا بُنَيَّ سَل و إن كانتَ مسألتُك حمقاء .

قلتُ : أَجِبنِي فيها .

قال لي : سَل !

قلتُ : أَلَك عَيْنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ فما تصنعُ بها ؟

قال : أرى بها الألوان و الأشخاص .

قلتُ : فَلَك أنْفٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أشمُّ به الرائحة .

قلتُ : أَلَك فَمٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أذوقُ به الطَّعمَ .

قلتُ : فَلَكَ أَذُنٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ بها ؟

قال : أسمعُ بها الصَّوتَ .

قلتُ : أَلْكَ قَلْبٌ ؟

قال : نعم .

قلتُ : فما تصنعُ به ؟

قال : أُمَيِّزُ به كُلِّما وَرَدَ على هذه الجوارح و الحواس .

قلتُ : أَوَلَيْسَ في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

فقال : لا .

قلتُ : و كيف ذلك و هي صحيحةٌ سليمةٌ ؟

قال : يا بُنَيَّ ! إِنَّ الجوارح إذا شَكَت في شيءٍ شَمَّتُهُ أو رَأَتْه أو ذاقته أو سمعته رَدَّتُهُ الى القلب فَيَسْتَتِيقُنُ اليقينَ و يُبْطِلُ الشَّكَّ .

قال هشام : فقلتُ له : فإنَّما أقامَ اللهُ القلبَ لشكِّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلتُ : لأبْدَ من القلب و إلا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

فقلتُ له : يا أبا مروان (8) ، فاللهُ تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتَّى جعل لها إماماً يُصَحِّحُ لها الصحيحَ و يَتَقَيَّنُ به ما شُكَّ فيه و يَتَزَكَّى هذا الخلقَ كُلَّهم في حَيْرَتهم و شكِّهم و إختلافهم ، لا يُقيم لهم إماماً يردُّون إليه شكِّهم و حيرتهم و يُقيم لك إماماً لجوارحك تردُّ اليه حيرتك و شكِّك !

قال : فسكتَ و لم يقل لي شيئاً ، ثم التفتَ إليّ فقال لي : أنت هشامُ بن الحكم ؟ فقلتُ : لا .

قال : أَمِنْ جُلَسَائِهِ ؟

قلتُ : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قال : قلتُ : من أهل الكوفة .

قال : فأنتَ إِذًا هو . ثم ضمّني اليه و أقعدني في مجلسه و زال عن مجلسه و ما نطق حتّى قمْتُ .

قال : فضحك أبو عبدالله عليه السلام و قال : يا هشام . مَنْ علّمك هذا ؟

قال : شيءٌ أخذته منك و أَلَفْتُهُ .

فقال : هذا والله مكتوبٌ في صُحُف إبراهيم و موسى . (9)

و باعتبار أنّ الإمام بمنزلة قلب العالم و محّه ، فإنّ سروره و حُزنه سيؤثّر في جوارحه و أعضائه أي في جميع مخلوقات الله واحداً فواحداً .

(1) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .

(2) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .

(3) ذيل الآية 52 ، من السورة 20 : طه .

(4) ذيل الآية 3 ، من السورة 65: الطلاق

(5) ذيل الآية 21 ، من السورة 12 : يوسف

(6) أصول الكافي) ، المجلّد الأول ، ص 169 ، كتاب الحجّة ، باب الإضطرار الى الحجّة .

(7) ولد هشام بن الحكم في الكوفة ، و نشأ و ترعرع في واسط ، ثم عمل بالتجارة في بغداد و سكن هناك الى آخر عمره ؛ و قد نُقل مدحُه و الثناء عليه عن الأئمّة الصادق والكاظم و الرضا عليهم السّلام . كان راوياً للحديث و له أصل في الأصول الأربعمئة الشيعيّة ، و كان من أجلة محدّثين و مهرة المتكلّمين و المناظرين ، و كان له في فتوّته مهارة كبيرة في فنّ المناظرة (رجال الميرزا محمّد بن علي الأردبيلي المعروف ب (جامع الرواة) ج 2 ، ص 313 وهذه الرواية يرويها المجلسي أيضاً في (بحار الأنوار) ج 7 ، ص 3 ، نقلاً عن (إكمال الدين) و(علل الشرايع) و (الأمال) للشيخ الصدوق .

(8) أبو مروان) كُنية عمرو بن عبّيد .

(9) يروي الصدوق هذه الرواية في (الأمال) ، ص 351 ، عن سعد بن عبدالله ، عن ابراهيم بن هاشم ، عن اسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن يونس بن يعقوب قال : كان عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه فيهم حُمران بن أعين ومؤمن الطّاق و هشام بن سالم و الطيّار و جماعة من أصحابه فيهم هشام بن الحكم و هو شابٌ ؛ ثم ينقل عين الحديث الى آخره . و أورده المرحوم المجلسي في (بحار

الانوار) الطبعة الكمباني ج 14 ، ص 549 (السماء و العالم) ، و في الطبعة الحروفية ج 61 ، ص 248 عن (أمالى الصدوق) .